

في سبيل الله والأزهر

للككتور محمد يوسف موسى

أما بعد !

فقد أردت نفسي جامعاً على أن أكتب اليوم في باب من الأبواب التي أكتب فيها المتصلة بالفلسفة أو الفكر عامة ، فأبت إباء شديداً ، وحتمت على أن تكون هذه الكلمة عن الأزهر خاصة . ولا عجب ! فائق كان الأزهر في كل أدوار تاريخه الطويل الحافل مليء الزمان ، فهو هذه الأيام مليء الزمان والاشماع حتى استرعى انتباه البلد كله ، وأفردت له الصحافة الكريمة مكاناً كبيراً ، فنحن لا نعيش هذه الأيام إلا له ولا نفكر إلا فيه

يتحامل كثير من الناس ممن لم يتبطؤوا الأمر ولم يفقهوا ما يراد بالأزهر ، عن السر في ثورة الأزهرين جيما طلابا ومدرسين وأساتذة ، هذه الثورة الهائلة المادة الحازمة ، وكيف أصبحوا يطلبون مطالب مادية كما يطلب النير ، وقد عهدوم زهاداً في الدنيا حين يتكالب غيرهم عليها ؟ ولهؤلاء المتسائلين على هذا النحو أتوجه بهذه الكلمة

ما كان الأزهر في يوم من الأيام طالب دنيا ، ولكنه صاحب رسالة يحرص على أدائها ويرجو أن يمان عليها ، بل ألا يحال بينه وبينها . وهذه الرسالة في حفظ كتاب الله وحراسة شريعته ، وإذاعة تعاليم الإسلامية في مصر وغير مصر من أقطار الأمة الإسلامية ، والعمل على أن يكون هذا الكتاب الكريم وتلك الشريعة السمحة هما الفيصل في البلاد الإسلامية في نواحي التشريع والأخلاق والتقاليد

وهذه الرسالة ، على خطرها وجلالتها وثقل ما تقتضيه من تبعات ، قام بها الأزهر فيما مضى من تاريخه الطويل ، وعرفت له الأمة الإسلامية عظم الدور الذي يقوم به ، فأحلت له المحل اللائق ورفعت مكانه عليا . أما اليوم فقد وضع ، حتى لمن كان أهمي أو لمن لا يجب أن يتعمق الأمور ويرد النتائج إلى مبدئياتها وأسبابها الأولى ، أن القائمين على شؤون مصر في هذه السنوات

لا يريدون أن يقوم الأزهر برسائنه من حراسة الدين وأخذ الأمة به ، حتى يتم لهم ما عملوا له زمناً طويلاً من فصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً ، ومن أن يكون مجتمعنا مجتمعاً لا يبت في مجموع مظاهره وتقاليدته لأشريعة بسبب قوى أو صلة معينة . ومن ثم راحوا يتحيفون حقوق الأزهر وأهله في عنت ، ويتحدونه وأيضاً في جيروت ، ويحاولون صرف الناس عنه بطرق وأساليب شتى ، ويجردون مما بين أيديهم من الحكم وأسبابه القوية في كل ما يريدون ، بل ويجردون لهم أنصاراً ممن لا يريدون - فيما يزعمون - أن تتخلف مصر عن ركب الحضارة ، كأن الإسلام الذي أوجد أكبر حضارة عرفها الإنسان أصبح حجر عثرة في سبيلها هذه الأيام !

هذا ، وأنا نعتقد أن الحالة أو اللجنة التي يمر بها الأزهر الآن ، وسيخرج منها بفضل الله ، وقد نقي عن نفسه الخبث وذاد عن عينه النوم الثقيل البغيض ، هي نتيجة لسياسة وضع أسسها المستمر منذ قرابة قرن من الزمان

إن الاستثمار على ضروب مختلفة لكل منها وسائله ، ولكن مهما يختلف المستثمرون في طرقهم وأساليبهم ، فإنهم يتفقون على وجوب القضاء على قومية البلد المستمر ، وهذه القومية تقوم على الدين واللغة والتقاليد . وهذه الثاية قد يسير إليها المستمر في عجلة وعنقوان كما فعلت فرنسا في الجزائر ، أو في هون وتؤدة كما حاولت إنجلترا في مصر وتنجحت فيه نجاحاً غير قليل

لقد بدأ الأمر عندنا منذ زمن طويل بالتهوين من شأن الدين واللغة ، وتحييف حقوق القائمين بهما ، وجعلهم لدى الأمة في منزلة أدنى من نظرائهم في الثقافة والعمل والخدمات السامة للأمة ؛ ومن ثم كان خريجو دار العلوم دون خريجي مدرسة المعلمين العليا منزلة وراتباً مع اشتراكهما في العمل في المدرسة الواحدة ؛ وكان القضاء الشرعيون . ولا يزالون . دون القضاء الأهليين في المرتبة المادية والأدبية ، مع الاستواء في الحكم بين الناس ، وما لذلك من تبعات جسام ؛ وكان خريجو الأزهر في منزلة أدنى من هؤلاء جميعا

ثم انفضى الاستثمار بمحمد الله . ولكن بقي - لا أقول أذناً وصنائع - من يخدمون بمضى ما كان له من قايات من حيث

ودرسوله ا كما لا يسمع له فيما نأتى من مفكرات وآثام ومظالم ،
وفيا يشيع في هذا البلد من تقاليد تبعد عن أمر الله والخلق الطيب
بعد الشرق من الغرب ا

أرأينا إذا أن التهوين من شأن الأزهر وأبنائه وعلمائه ورجاله
عامة ، وانتقاص حقوقهم جميعا في غير روع أو حياء ، أمر يجرى
على سنن مرسوم وسياسة وضع المستعمر أسسها ووساقلها منذ
زمن طويل ا وأنه من عدم فهم الأمر على حقيقته ، ومن تجاهل
الطلل الأولى لهذه الهنة التي نمر بها ، أن يقال إن الأزهريين
يثورون طلبا للمادة كما يفعل الأفيار ا

ألا إن الأمر أخطر من هذا كله كما رأينا ، ألا وإن من
يؤمن بالله ودينه ، والرسول وشرعته ، والأزهر ورسالته ، طلابا
وأستاذة ودؤساء ، ليس له أن يتزعزع خطوة واحدة عن هذا
الموقف القوي نفقه الآن جميعا في سبيل الله والأزهر ، وإلا كان
قارا من الرحف وباء بسخط من الله ورسوله والمسلمين جميعا

إن الأمر ، أيها الناس ، لا يمدو إحدى اثنتين : إما
الان تكون مصر والعالم الإسلامي كله في غير حاجة للأزهر ،
أو تكون في حاجة ماسة له ، فإن كانت الأولى فليطلق الأزهر ،
وليفنق ما يرصد له في الميزانية ، على غيره من مرافق البلد ،
وليربحونا من هذه الحياة التي لا يرضاها حر أبي كريم ، وإن كانت
الأخرى ، وهذا ما ننتقده صريحاً ، فلي الدولة أن تعرف للأزهر
وأبنائه منزلهم ، وأن توفر لهم الحياة الكريمة كفاء ما يقومون
به من رسالة وما عليهم من تبعات ، وعلى الأمة الإسلامية كلها
أن تطالب الدولة بذلك كله في جد وإلحاح من يوقن أنه يطالب
بحقه . فأقول : « على الأمة الإسلامية » ، لأن الأزهر وإن
كان في مصر ، ليس ملكاً لمصر وحدها ، ولكنه لأمة الإسلام
جميعاً ، والأمر في هذا لا يحتاج لدليل أو توضيح

وليس لأحد من ييدم الأمر أن يتعلل لحدثيه بدمد إمكان
الميزانية العامة للدولة ، وإلا ، فكيف تنسج هذه الميزانية
للاعتدات على جمع من الطوائف ، بل وللإهداق على فرق التمثيل
والرقص نستقدمها من أوروبا للترفيه عن الأغنياء المترفين ا

هذا ، ونقول أخيراً ما قاله فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
حسين مخلوف عضو « جماعة كبار العلماء » في حديثه لدى فضيلة

يدرون أو لا يدرون ، فاحتطبوا في حبله زمنا طويلا ، حتى انتهى
بنا الأمر إلى كثير مما كان يريد

ها هو ذا أحد المسلمين ، ممن لهم مكانة ملحوظة في البلد ،
يقول في كلمة نشرتها له أوائل عام ١٩٤٩ صحيفة إسلامية واسعة
الاتشار : « ولا يخفى أننا في مصر نجرى ، في حكمة واعتدال ،
على فصل الدين عن أمور الحكم وخلافات السياسة »

وها هو ذا آخر درس القانون وصار من الهامين ، يقول في
عريضة دعوى الآنة المحامية أمينة مصطفى خليل التي رفعتها أمام
مجلس الدولة ، تشكو وزير العدل أنه لم يمينها وكيكة نيابة
أو محامية بقلم قضايا الحكومة بعد أن استشار في الأمر رجال
الدين ، يقول كما جاء بمجلة أخبار اليوم في العدد الصادر بتاريخ
٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ : « وقد أخطأت وزارة العدل السبيل حين
توجهت إلى رجال الدين تستفتيهم في مسألة اجتهادية لا تتعلق
بالدين - كما لو كانت مسألة ولاية المرأة القضاء أو شيئا منه أمراً
لا يتعلق بالدين والشريعة الإسلامية ا - في كثير أو قليل .

فكان حقاً عليها ، حتى لا تتخلف عن السير في ركب الحضارة ،
أن تسائل نفسها : هل تقوم في مصر حكومة دينية ؟ وهل
الحكومة القائمة تطابق المبادئ الشرعية حقاً وصداقاً ؟ أو هل
يمش المصريون في مجتمع شرعى تطبق فيه أحكام الدين الحنيف ؟
فإذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة بالسلب ، حق على وزارة
العدل أن تتورع من الزج بالدين في الأمور الاجتماعية البعثة » ،
إلى آخر ما قال ا ونحن نعتقد مع محامى المدعية أن الإجابة عن
هذه الأسئلة كلها هي بالسلب ، وهذا ما يكشف لنا عما وصل
إليه من النجاح أنصار إقصاء الدين عن الدولة والمجتمع نفسه .
وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنما ، نتجاهلين قوله تعالى

في سورة المائدة : « الخكم الجاهلية يبنون ، ومن أحسن من
الله حكما لقوم يوقنون ا » مع أن المحافظ ابن كثير ، وهو من
أجل علماء الإسلام ، يقول في أثناء تفسيره لهذه الآية : « فمن
فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله »
وأخيراً ، من باب التمثيل لا من باب الاستقصاء ، نرى

الأزهر زاد عن القوامة على الشريعة الإسلامية فيما يفرض على
البلاد من قوانين ترجع إلى كثير من المصادر ما عدا شريعة الله